

## تفسير البحر المحيط

@ 286 @ تدخل على الممكن والممتنع نحو قوله { لَتَنِينَ أَشْرَكَتَ } . . .  
 { أَوْ لَمْ } \* يَرِ السَّذِينَ كَفَرُوا° أَنْ° \* السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ \* كَانَتَا  
 رَتَقًا° فَفَتَقْنَاهُمَا° وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ° أَفَلَا°  
 يُؤْمِنُونَ° \* وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا° أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ° وَجَعَلْنَا  
 فِيهَا فِجَاجًا° سُبُلًا° لِّلْعَالَمِينَ° يَهْتَدُونَ° \* وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا°  
 مَحْفُوظًا° وَهُمْ° عَنِ آيَاتِنَا مُعْرِضُونَ° \* وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ° كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ° \* وَمَا جَعَلْنَا  
 لِّلشَّيْطَانِ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ° أَلَّا يَمُوتَ° فَهُمْ° الْخَالِدُونَ° \* كُلٌّ نَّفْسٍ  
 ذَائِقَةُ الْعَمَلِ° وَنَبِّئُوكُمْ بِالشَّيْءِ° وَالْخَيْرِ° فَتَذَنَّهُ° وَإِلَّا لَيُنَا  
 تُرَّجَعُونَ° } . . .

هذا استفهام توبيخ لمن ادعى مع الله آلهة ، ودلالة على تنزيهه عن الشريك ، وتوكيد لما  
 تقدم من أدلة التوحيد ، ورد على عبدة الأوثان من حيث أن الإله القادر على هذه المخلوقات  
 المتصرف فيها التصرف العجيب ، كيف يجوز في العقل أن يعدل عن عبادته إلى عبادة حجر لا  
 يضر ولا ينفع والرؤية هنا من رؤية القلب . وقيل : من رؤية البصر وذلك على الاختلاف في  
 الرق والفتق . وقرأ ابن كثير وحמיד وابن محيصن ألم يَرَ بغير واو العطف والجمهور {  
 أَوْ لَمْ } بالواو . { كَانَتَا } قال الزجاج : السموات جمع أريد به الواحد ، ولهذا  
 قال { كَانَتَا رَتَقًا } لأنه أراد السماء والأرض ، ومنه أن الله يمسك السموات والأرض أن  
 تزولا جعل السموات نوعاً والأرضين نوعاً ، فأخبر عن النوعين كما أخبر عن اثنين كما تقول  
 : أصلحت بين القوم ومر بنا غنمان أسودان لقطيعي غنم . وقال الحوفي : قال { كَانَتَا  
 رَتَقًا } والسموات جمع لأنه أراد الصنفين ، ومنه قول الأسود بن يعفر : % ( إن المنية  
 والحتوف كلاهما % .

يوفي المحارم يرقبان سوادي .

% ) .

لأنه أراد النوعين . وقال أبو البقاء : الضمير يعود على الجنسين . وقال الزمخشري :  
 وإنما قال { كَانَتَا } دون كن لأن المراد جماعة { السَّمَاوَاتِ } وجماعة { الْأَرْضِ }  
 ونحوه قولهم : لقاحان سوداوان إن أراد جماعتان فعل في المضمرة ما فعل في المظهر . وقال  
 ابن عطية : وقال { كَانَتَا } من حيث هما نوعان ونحوه قول عمرو بن شبيب : % ( ألم

يحزنك أن جبال قيس % .

وتغلب قد تباينت انقطاعا .

. % )

قال ابن عباس والحسن وعطاء والضحاك وقتادة : كانتا شيئاً واحداً ففصل الله بينهما بالهواء . وقال كعب : خلق الله السموات والأرض بعضها على بعض ثم خلق ريحاً بوسطها ففتحها بها وجعل السموات سبعاً والأرضين سبعاً . وقال مجاهد والسدي وأبو صالح : كانت السموات والأرض مؤتلفة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات ، وكذلك الأرضون كانت مرتتفة طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبعاً . وقالت فرقة : السموات والأرض رتق بالظلمة وفتقها الله بالضوء . وقالت فرقة : السماء قبل المطر رتق ، والأرض قبل النبات رتق { فَفَتَقْنَا نَافِثَاتِهَا } بالمطر والنبات كما قال { وَالسَّمَاءُ ذَاتِ الرَّجْعِ \* وَالْأَرْضُ ذَاتِ الصَّدْعِ } قال ابن عطية : وهذا قول حسن يجمع العبرة وتعدد النعمة والحجة للمحسوس بين ، ويناسب قوله { وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ } أي من الماء الذي أوجده الفتق انتهى . .

وعلى هذين القولين تكون الرؤية من البصر وعلى ما قبلهما من رؤية القلب ، وجاء تقريرهم بذلك لأنه وارد في القرآن الذي هو معجزة في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد ، ولأن تلاصق الأرض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص ، وهو الله سبحانه وقرأ الجمهور { رَتَّقَا } بسكون التاء وهو مصدر يوصف به كزور